فن المراسلة عند علماء الكرد الشيخ معروف النودهي أنموذجا

أ.م.د.آزاد سعيد سمو

جامعة دهوك-كلية التربية الأساسية-قسم التربية الدينية

تأريخ الاستلام:2024/3/1 **تأريخ قبول النشر:2024/5/7**

المقدمـة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

لقد كان للكرد دور بارز في شتى المجالات العلميّة والفكريّة والسياسيّة والعسكريّة وغيرها من المجالات، ويمتلك الكرد سجلا علميّا زاخرا يحتوي على المئات من أسماء العلماء الكرد الأعلام وفي شتى المجالات العلمية والأدبية والفكرية، ولم يبق باب من أبواب المعرفة الإنسانيّة إلاّ وطرقه علماء الكرد ودخلوا فيه من أوسع أبوابه... وما هذه الآثار والكتب العلميّة التي تملأ المكتبات العالمية اليوم إلاّ دليلاً قاطعاً على ما نقول، فضلاً عن أنّ ما أحرق وأتلف من تلك الكتب والآثار العلميّة الرائعة يفوق عمّا هو موجود الآن بعشرات المرّات أو يزيد، وقد صدق الأستاذ محمد علي القرداغي عندما قال: "ما بقي من آثار[علماء] الكرد لا يمثّل كلّ أو جلّ ما قدّموه، بل لا يمثّل إلاّ نزراً يسيراً من ثمرات جهودهم، ولا نذهب بعيداً إذا قلنا إنّ ما تعرّض من آثار علماء الكرد للحرق والإتلاف المتعمّد، أو الإهمال الناشئ عن الجهل يعلو علو جبل من جبال كردستان"[1].

لقد كان للكرد الآلاف من المدارس في العديد من المدن الكردستانية، تلك المدارس التي كانت حافلة بطلبة العلم، ورغم ندرة أدوات الكتابة من أقلام وأوراق وما إلى ذلك فقد تمكن علماء الكرد وطلبتهم من تأليف ونسخ مئات الآلاف من الكتب العلميّة القيّمة وفي مختلف المجالات، بالإضافة إلى أعمال فنيّة رائعة، ويكفي هنا أن نضرب مثالاً واحداً يثبت ذلك ألا وهو شهادة الرحالة (أوليا جلبي)[2] الذي طاف في العديد من بلاد الكرد ودوّن شهاداته وانطباعاته عن الكرد، فقد تحدث عن الآثار العلمية التي كانت قلعة بدليس تحويها بقوله: "...من غير هذا كان هناك (76) مجلداً من الكتب الفارسيّة والعربيّة والتركيّة من تأليف (عبدال خان) نفسه، مع (105) رسائل منوعة ومختلفة كان معظمها باللغة الفارسيّة، مع مئتي مجلد من أطالس (مينور) والجغرافية (وبابا مونت) وكتب علم الهيئة والحكمة من مطبوعات الإفرنج[3]، وكل من كان يراها كان يفقد وعيه لفرط جمالها، مع بضعة خرائط للعالم القديم والجديد والتي كان يدور رأس الناظر عند النظر إليها، مع [كل] أنواع الأعشاب والنباتات التي كان الأطباء يحتاجونها في علم التشريح، مع صور لجميع أعضاء جسم الإنسان بحيث لا يستطيع أي ناظر من التمييز بينها وبين الأعضاء الحقيقية، وكانت مصورة في بلاد الإفرنج، مع مئتي منظر ولوحة عجيبة كانت قد رسمت بأيدي العجم والإفرنج وكل واحد منها كان مثالاً للسحر الحلال"[4].

يعتبر (فن المراسلة) والذي نحن بصدد البحث فيه واحدا من الفنون التي استخدمها علماء الكرد، وتعتبر المراسلات بين العلماء من المصادر المهمة التي يستفاد منها في فهم الكثير من الأحداث التاريخية، ذلك أنها دائرة بين طبقة من أعلى طبقات المجتمع، وهي طبقة العلماء، ومثل هذه الرسائل لها أهمية كبيرة إذ أنها تعد سجلاً تاريخياً لأحداث العصر الذي كتبت فيه، ومن خلال تتبع الآثار

والنتاجات العلمية للعلماء الكرد يمكن الاطلاع على عدد كبير من تلك المراسلات التي أجريت بين العلماء بعضهم البعض، وبينهم وبين أطراف أخرى من أمراء وشخصيات اجتماعية وسياسية وغيرها من الأطراف، ومن خلال تتبع سريع للآثار العلمية للشيخ معروف النودهي، وما كتب عنه من قبل الباحثين وقفت على عدد من رسائله التي كان قد بعث بها رحمه الله تعالى إلى عدد من الأطراف، وأغلب الظن لديّ أن للشيخ النودهي عدد كبير من الرسائل إلا أن ما تم العثور عليه عدد قليل منها، ويبدو أن أغلب رسائله قد فقدت، ولم يحافظ عليها تلامذته وذووه، هذا وقد تمكنت من العثور على بعض منها، وهي رسائل في غاية الأهمية، ويمكن من خلالها التوصل إلى عدد لا بأس به من الاستنتاجات المتعلقة بمواقف وآراء الشيخ النودهي تجاه عدد من القضايا والأحداث المتعلقة بالزمان والمكان الذي عاش فيه النودهي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه يتناول الرسائل التي بعث بها إحدى أهم الشخصيات العلمية الكردية التي كانت لها أهمية كبيرة في كردستان، فالشيخ معروف النودهي كان عالماً ومتصوفاً وأديباً ومفكرا، وله العديد من النتاجات العلمية القيمة، لذلك فإن دراسة مضمون وفحوى رسائله وتحليلها أمر في غاية الأهمية، ويمكن أن يساهم ذلك في إبراز بعض الأمور التي ربما خفيت بعض الشيء على المهتمين بدراسة الشيخ معروف النودهي وتراثه العلمي الزاهر.

منهج البحث:

لقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، حيث قام بوصف فن المراسلة لدى علماء الكرد، ومن ثمّ ركزّ على وصف ذلك الفن لدى الشيخ معروف النودهي رحمه الله تعالى، ومن ثم قام بتحليل عدد من رسائله، وعلقّ عليها، وبين أهم جوانبها ومضامينها.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتقصي اطلع الباحث على عدد من الدراسات السابقة ومن أهمها حسب اطلاع الباحث دراستان اثنتان: إحداهما: باقة دراسات كردستانية، تأليف: كمال رؤوف محمد، وهو من منشورات دار آراس، إقليم كردستان العراق ـ أربيل، سنة 2006م، وهذا الكتاب دراسة حول عدد من القضايا الكردستانية، وتطرق فيه للحديث عن عدد من رسائل الشيخ معروف النودهي رحمه الله تعالى، أما الدراسة الثانية: فهي: القيمة التاريخية لرسائل الشيخ معروف النودهي، للدكتور آراس محمد صالح، والتي نشرها في المجلة العلمية لجامعة جيهان، المجلد(6)، العدد (3)، حزيران، 2022، تطرق فيها لذكر نبذة حول حياة الشيخ معروف النودهي، وظروف كردستان في حياة الشيخ النودهي، كما أورد فيها عددا من رسائل الشيخ النودهي وشرحها شرحا علميا، وعلق عليها ببعض التعليقات المفيدة.

أسئلة البحث:

هناك جملة من الأسئلة الفرضية والتي تمت الإجابة عليها في ثنايا البحث، ومن تلك الأسئلة:

ما المقصود بفن المراسلة؟

أين يقف علماء الكرد من هذا الفن؟

هل يمكن عرض بعض النماذج من رسائل علماء الكرد؟

هل استخدم الشيخ معروف النودهي هذا الأسلوب؟

ما هي أبرز رسائل الشيخ النودهي؟

خطة البحث:

لقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، وكل مبحث تضمن مطلبين اثنين، فالمبحث الأول حمل عنوان: فن المراسلة لدى علماء الكرد، تطرق المطلب الأول للحديث عن فن المراسلة بصورة عامة، كما ذكر أهميته من الناحية العلمية، أما المطلب الثاني فقد تطرق للحديث عن فن المراسلة لدى علماء الكرد، وذكر بعض النماذج من رسائلهم.

أما المبحث الثاني: فقد حمل عنوان: الشيخ معروف النودهي وفن المراسلة، تطرق المطلب الأول للحديث عن فن المراسلة لدى الشيخ معروف النودهي، أما المطلب الثاني فقد تم ذكر بعض من نماذج رسائله رحمه الله ومن ثم تحليلها والتعليق عليها.

المبحث الأول

فن المراسلة لدى علماء الكرد

المطلب الأول: حول فن المراسلات العلمية وأهميتها.

المطلب الثاني: فن المراسلة لدى علماء الكرد.

المطلب الأول: حول فن المراسلات العلمية وأهميتها:

تعد المراسلات العلمية التي كان يطلق عليها في السابق تسمية (المكاتبات)[5] والتي جرت بين العلماء والأدباء والمفكرين وغيرهم من الفنون التي كانت منتشرة بصورة واسعة وذلك قبل انتشار وسائل الاتصال الألكترونية الحديثة، ولم يلق هذا الفن اهتماماً لائقاً به حتى الآن بالرغم من احتواء المكتبات على عدد كبير منها، سواء المطبوعة منها أو المخطوطة، هذا وترجع أصول هذا الفن إلى العصور الغابرة حيث كان العلماء والمفكرون الزعماء والملوك والقادة يستعينون بالرسائل لمخاطبة من يرغبون في التواصل به، وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم العديد من الرسائل إلى الملوك والأباطرة يدعوهم فيها إلى اعتناق في الإسلام، كما فعل مع كسرى عظيم الفرس، وقيصر عظيم الروم وغيرهما.

لقد سار خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهجه، فأرسلوا العديد من الرسائل إلى ملوك وعظماء الدول، وكذلك كانوا يستعينون بالرسائل لإبلاغ أوامر الدولة للأمراء وقادة الجند وعمال الدولة الإسلامية في الأمصار التابعة للدولة.

أما بالنسبة للعلماء -والذين نحن بصدد الحديث عنهم- فقد اهتموا بهذا الفن اهتماماً كبيراً حيث نراهم يتفننون في أسلوب كتابة الرسائل، ويستخدمون أنواعا من السجع، والطباق والجناس وسائر المحسنات البديعية، والفنون البلاغية وفق قواعد وأصول محددة[6]، والذي يطالع تلك الرسائل سيدرك مدى جمالها، وروعتها، وبلاغتها، وسيطّلع على مدى ثقافتهم، وعلوّ أساليبهم في مخاطبة الآخرين بأسلوب أدبيّ ملؤه الأدب والفهم والوقار.

أنظر مثلا إلى الأدب الجم والأسوب الرفيع في مخاطبات بعض العلماء لبعضهم، فقد كتب الليث بن سعد إلى الإمام مالك رسالة ومما جاء فيها:

"سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلاّ هو أما بعد: عافانا الله وإيّاك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة، قد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك لكم، وأتمه بالعون على شكره والزيادة من إحسانه ..."[7]، ولقد كان معظم العلماء السابقين يستخدمون أسلوب المكاتبات مع العلماء وطلبة العلم والأمراء وغيرهم، وفي كتب التراث نقف على مكاتبات رائعة للإمام أحمد بن حنبل، والإمام الشافعي ، والإمام الشاطبي، والإمام السيوطي ، وغيرهم.

ومن ناحية أخرى فقد شرع عدد من الكتاب في وضع مصنفات خاصة بتعليم فنون وأساليب كتابة الرسائل، ألّف شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي في القرن الثامن الهجري كتابا سمّاه: (حسن التوسل إلى صناعة الترسل)، وصنّف أبو العباس القلقشندي في مطلع القرن التاسع للهجرة موسوعة ضخمة سماه: (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء) ذكر فيها أنواعا عديدة من الرسائل[8]، وألف آخرون مصنفات وكراسات متعددة حول الفنون المتعلقة بكتابة الرسائل وأنواعها، وأساليبها، ومعايير جودتها، وخصائص كل نوع منها[9].

أهمية هذا الفن:

تعتبر المراسلات التي جرت بين العلماء والمفكرين واحدة من المصادر المهمة التي يمكن أن يستفاد منها في تدوين التاريخ، ذلك لأنها دائرة بين طبقة من أعلى طبقات المجتمع، وهي طبقة العلماء والمفكرين، وتكمن أهميتها في كونها تعد سجلاً تاريخياً للأحداث التي وقعت في ذلك العصر الذي كتبت فيه، وكذلك يمكن الاستفادة منها للوقوف على الكثير من المسائل الفقهية والأصولية والعقدية والفكرية التي كان العلماء يتبادلون المعلومات حولها من خلال تلك المكاتبات العلمية النافعة، لا سيما إذا علمنا أن الكثير من العلماء والمفكرين قد احتفظوا برسائلهم وكذلك الرسائل التي تلقوها سواء كانت ردّا على رسائلهم، أو كانت رسائل مستقلة وجمعوها في كتب خاصة والكثير منها قد تم تحقيقها وطبعها، ونرى الكثير من الباحثين يستفيدون منها كمصادر يعتمد عليها في بحوثهم العلمية.

أهم فوائد المراسلات:

للمراسلات العديد من الفوائد المتنوعة ومن أهمها ما يأتي:

1- تعتبر الرسائل من الوثائق القانونية التي يمكن الاستفادة منها في العديد من التحقيقات وغير ذلك.
2- للرسالة أثر بليغ على المرسَل إليه لأن الرسالة توجّه إليه خاصّة، بعكس الكلام العام الذي يكتب وينشر ويطلع الجميع عليها، لذلك فقد أثبت أسلوب إرسال الرسائل الشخصيّة فاعليتها قديماً وحديثاً، فكم من المشاكل والعقد التي لم يكن إلى حلّها سبيل حلتها رسالة بليغة موجّهة إلى الطرف المعني بذلك.
3- من خصائص الرسالة الشخصية أنها قابلة لقراءتها مرّات متعددة لاسيما إذا احتفظ بها المتلقي، حيث بإمكانه إمعان النظر إلها، وربما الوقوف على بعض العبارات اللّافتة للنظر.
4- بإمكان كاتب الرسالة ذكر بعض الأمور الخصوصية في الرسالة الشخصية ومعالجتها بصورة مركّزة، وهذا الأمر لا يكون متاحا، ولا يمكن تحقيقه في الكلام العام وغيره من الوسائل الأخرى.
5- من خلال الرسائل والمكاتبات الشخصية يمكن حصر المناقشات والردود بين طرفي المراسلة لاسيما تلك المكاتبات التي تتعلق بالأمور الحساسة التي من غير المحبذ اطلاع الآخرين عليه.
6- تظهر أهمية الرسالة في كونها أنسب وسيلة لنقل معلومة ما بشكل دقيق وواضح للشخص أو الجهة المراد إيصالها إليه، وفي حال إيصال تلك الرسالة إلى الجهة المعنية بأسلوب فني قويّ وواضح وبليغ عندها سيحقّق الشخص المرسِل النتائج المرجوة من إرسال تلك الرسالة[10].

المطلب الثاني: فن المراسلة لدى علماء الكرد:

من خلال دراسة السيرة العلمية لعلماء الكرد، نقف على العديد من الوسائل والطرق والآليات التي استخدموها في مسيرتهم العلمية، فنراهم قد استخدموا طريقة الخطبة، والمناظرات العلمية، وإدارة الحلقات العلمية، وتأليف الكتب والمنظومات العلمية في شتى المجالات العلمية، وغيرها من الوسائل، فبالنسبة للخطبة نجد أسماء لامعة في هذا المجال قديماً وحديثاً، حيث كان الخطباء المنتشرون في شتى الجوامع في كردستان وخارج كردستان يلقون على الناس أروع الخطب وأبلغها، مستعينين على ذلك باستخدام أهم العناصر لنجاح الخطبة سواء منها خطبة الجمعة، أو الخطب المختلفة الأخرى، أما المناظرات فهي الأخرى برع فيها علماء الكرد حيث كانت تقام المناظرات العلمية في المدارس الخاصة بالمساجد، وكان طلبة العلم يحضرونها للاستفادة من تلك المناظرات، وبالنسبة للحلقات الدراسية فقد كان أغلب علماء الكرد يديرون العديد من الحلقات العلمية التي كانت تدرّس فيها شتى العلوم الشرعية وعلوم الآلة من فقه وحديث وتفسير ونحو وصرف وما إلى ذلك من العلوم، أما بالنسبة للتأليف فإن المكتبة الإسلامية اليوم تزخر بالآلاف من الكتب والمنظومات العلمية المطبوعة والمخطوطة التي نسجتها أنامل أولئك الأفذاذ من علماء الكرد من شتى المدن والأمصار.

أما بخصوص فن الرسائل والتي كانت تسمى بالمكتوبات فقد استخدمها علماء الكرد على نطاق واسع، وقلما ترى عالما من علماء الكرد أهمل هذه الوسيلة، هذا وقد تفنّن علماء الكرد في كتابة الرسائل، واستخدموا شتى أنواع المحسنات البديعية والبلاغية، وكذلك كانوا كثيرا ما يزيّنون رسائلهم بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، والأمثال الشعبية، والجدير بالذكر أن علماء الكرد قد كتبوا الرسائل باللغات العربية، والكردية، والفارسية، والتركية أيضا، والنسبة للعلماء المكثرين من استخدام هذه الوسيلة فقد تم جمع رسائلهم في كتب خاصة سميت بالمكتوبات مثل: مكتوبات مولانا خالد النقشبندي على سبيل المثال، ومن خلال النظر إلى الأوضاع العلمية لعلماء الكرد نرى بأنهم كانوا يلجؤون لوسيلة الرسائل بسبب بعدهم عمّن يرغبون في الاتصال بهم، وبسبب افتقارهم إلى وسائل الاتصال الأخرى التي استحدثت فيما بعد، وكثيرا ما كان العلماء يتبادلون فيما بينهم العشرات من الرسائل بخصوص بعض المسائل والأحداث التي كانت بحاجة إلى الردود المتبادلة، وربما كانت تلك العملية تستغرق فترات زمنية طويلة [11].

وفيما يلي ذكر لأسماء بعض من علماء الكرد الذي استخدموا وسيلة إرسال الرسائل، مع بعض النماذج من رسائلهم على سبيل المثال:

1-الشيخ معروف النودهي:

هو محمد بن مصطفى بن أحمد النودهي، الشهرزوري، البرزنجي، الشافعي، ويعرف بالشيخ معروف النودهي نسبة إلى قريته (نودى) [بالإمالة] في السليمانية، ولد الشيخ معروف سنة 1752م في قرية (نودى)، تعلم العلوم الأولية على يد والده، ثم درس على يد العديد من العلماء الآخرين سائر العلوم الشرعية وعلوم الآلة بشكل مفصّل[(12)]، وقد تنقل بين المدن الكردستانية وغيرها من المدن العربية إلى أن نال الإجازة العلمية، وبعد ذلك استمر في خدمة العلم حيث بدأ يدرّس العلوم الشرعية التي تعلمها على يد شيوخه، وتخرج على يديه العديد من طلبة العلم، كما ألف العديد من الكتب العلمية النافعة في الكثير من العلوم[(13)]، هذا وقد كان الشيخ معروف النودهي شاعرا أيضا وله المئات من الأبيات الشعرية في مواضيع شتى، وقد توفي الشيخ معروف النودهي سنة 1838م في مدينة السليمانيّة، ودفن حسب وصيته بمقبرة (سيوان) على ربوة قريبة من السليمانية، اشتهرت فيما بعد باسم النودهي[(14)].

أما بالنسبة لرسائل الشيخ معروف النودهي فبما أن هذا الموضوع الأساسي لهذا البحث هو رسائل الشيخ النودهي فسوف نذكرها على حدة في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى

.

2- مولانا خالد النقشبندي:

مولانا خالد النقشبدي هو: خالد بن أحمد بن حسين النقشبندي الكردي الشهرزوري، وهو من عشيرة الجاف ولد سنة 1779م في ناحية قره داغ درس العلوم الأولية على يد والده ويد علماء آخرين[15]، ثم درس على يد كبار العلماء وذلك بعد انتقاله إلى مدينة السليمانية، وخلال فترة تلقي العلم طاف الكثير من المدن في كردستان العراق وإيران، وأدى فريضة الحج سنة 1805م [16]، وبعد ذلك توجه إلى بلاد الهند حيث سلك طرقا محفوفة بالمخاطر، والتقى في طريقه بالعديد من علماء المناطق التي كان يمر بها، وبعد وصوله إلى دلهي التقى بالشاه عبد الله الدهلوي وبقي عنده سنة كاملة وأخذ منه الطريقة النقشبنديّة [17]، وفي سنة 1811م عاد إلى السليمانية وبدأ بنشر الطريقة النقشبندية[18]، وبعد عوته إلى السليمانية لاقى مولانا خالد رحمه الله الكثير من المتاعب والصراعات والتحديات لذلك لم يستقر به المقام في منطقة واحدة بل كان يتنقل بين السليمانية وبغداد وهورامان، وفي نهاية المطاف قرّر مغادرة كردستان للمرة الأخيرة فقصد مدينة دمشق وكان ذلك سنة 1822م[19]، وألقى هناك الدروس العلمية فترة من الزمن، وسافر بعد ذلك إلى مدينة القدس والتقى بعلمائها، وأدى بعد ذلك حجّة أخرى وذلك في سنة 1825م[20]، والتقى في الحجاز بعلمائها، وبعد عودته من الحج بفترة توفي رحمه الله بمرض الطاعون وذلك سنة 1827م[21] ودفن على سفح جبل قاسيون المطل على مدينة دمشق[22].

لقد كان مولانا خالد النقشبندي من علماء الكرد المكثرين لكتابة الرسائل، وحسب اطلاعي لم أجد بين علماء الكرد من هو أكثر منه امتلاكا للرسائل، هذا وقد كان مولانا خالد يكتب الرسائل باللغتين العربية والفارسية[23]، وقد جمعت رسائله بهاتين اللغتين كلا على حدة، فبلغت الرسائل العربية (91) رسالة، بينما بلغت الفارسية (193) رسالة، والجدير بالذكر أنه تمّت ترجمة رسائل مولانا خالد إلى اللغة الكردية، فقد ترجم الأستاذ إبراهيم فتاح الرسائل العربية إلى اللغة الكردية وطبعت من قبل دار آراس في أربيل سنة 2009، بينما ترجم الأستاذ الدكتور صباح البرزنجي الرسائل الفارسية إلى اللغة الكردية وطبعت هي الأخرى أيضا من قبل دار آراس في أربيل سنة2009.

لقد اطلعت على أغلب رسائل مولانا خالد النقشبندي فرأيتها في قمّة البلاغة والحكمة حيث استخدم فيها العديد من الأساليب البلاغية من سجع وترادف وفنون البديع والبيان، كما لا لاحظت أنها كتبت لأغراض شتى، فبعضها كانت رسائل جوابية حول بعض المسائل العلمية والفكرية، وبعضها كانت موجهة لبعض الأمراء وأركان الدولة، بينما كانت البعض منها عبارة عن مواعظ وإرشادات لمريديه وخلفائه في المناطق المختلفة.

3- ملا يحيى المزوري:

هو يحيى بن حسين المزوري، تاريخ ولادته ليست معلومة، إلا إنّ ولادته قريبة من سنة 1733م، والملا يحيى معروف عند العلماء بـ (ملا يحيى المزوري) نسبة إلى عشيرة المزوري، وينسب إلى العمادية لأنه دَرَسَ ودَرّسَ وأقام فيها مدة من الزمن، فقد دعاه أمير العمادية (مراد خان بن إسماعيل باشا) لكي يدرّس فيها، وبنى له مدرسة عرفت باسمه فيما بعد[24]، يقول عنه الشيخ عبد الكريم المدرس: "...وأخذ منه جميع علماء العراق ممن في عصره، وهو شيخ مشايخ العراق، وكان عندهم بمنزلة الشيخ ابن حجر، وقد قرأ تحفة المحتاج للشيخ ابن حجر أكثر من ثلاثين مرّة، وبلغ من العمر قريبا من مائة سنة، وأقرأ تفسير البيضاوي مع حواشيه كذلك ودرس العلوم النقلية والعقلية وكُتُب الحديث سبعين مرّة"[25].

لقد كان الملا يحيى المزوري كثير التجوال ولم يستقر في منطقة معيّنة، بل كان يتنقل بين البلدان والمدن لطلب العلم والالتقاء بالعلماء وطلبة العلم، فقد انتقل إلى مدينة الموصل، ورحل بعد ذلك إلى بغداد واستقرّ فيها مدة من الزمن، ودرّس وأفتى في الحضرة القادرية هناك، كما سافر إلى بلاد الشام والحجاز، وسافر إلى السليمانية، والتقى بعلمائها فأكرموه كثيرا، وأعجبوا بعلمه وحكمته كثيرا، هذا وقد ترك الملا يحيى المزوري وراءه إرثا علميا كبيرا حيث كان قد ألف العديد من الكتب في العديد من العلوم والفنون ذكرها الشيخ محمد علي القرداغي[26].

لقد كان للملا يحيى المزوري مراسلات مع الكثير من الشخصيات العلمية والسياسية الذين عاصروه، وقد حفظت بعض من تلك الرسائل بينما ضاعت رسائل أخرى ولم تنل حظها من الحفظ، هناك مخطوطة قام الشيخ محمد علي القرداغي بالتقديم لها وإعدادها للطبع حيث عثر عليها الشيخ في (دار العراق للمخطوطات) في بغداد[27]، و تحتوي على سبع رسائل كتبت من قبل الملا يحيى المزوري ومرسلة إلى شيخ معروف النودهي، وتناولت بعض من تلك الرسائل موضوع الصراع الذي وقع بين مولانا خالد النقشبندي والشيخ معروف النودهي رحمهما الله تعالى ولاسيما بعد عودة الأول منهما من الهند.

ومن خلال النظر إلى تلك الرسائل التي أرسلها للشيخ معروف النودهي يتبين أن الملا يحيى قد استخدم منتهى الحكمة واللّين والعقلانية فيها، بالإضافة إلى لجوئه لاستخدام القسوة في بعض الأحيان.

4- سعيد النورسي:

ولد الأستاذ سعيد النورسي سنة 1876م في قرية نورس التابعة لقضاء هيزان في ولاية بدليس، من أبوين كرديين، بدأ الأستاذ دراسته الأولية بتعلم القراءة والكتابة في مسجد قريته، وبعد ذلك تنقل بين الكثير من المدن لطلب العلم مثل مدينة بدليس وسيرت وميردين بايزيد ووان وغيرها من المدن[28]، وفي مدينة (وان) اطلع على العديد من العلوم الأخرى عدا العلوم الشرعية مثل: الجغرافيا، والفلك، والرياضيات، والكيمياء، والفيزياء، والفلسفة، والجيولوجيا، وقرأ العديد من الكتب في تلك العلوم واستفاد منها فيما بعد في مناظراته مع العلمانيين والملاحدة[29].

في سنة 1907 انتقل النورسي إلى استانبول واستقرّ فيها فترة من الزمن، وفي تلك الفترة قدّم للسلطان عبد الحميد الثاني عريضة طالب فيها أن تبذل الدولة مزيدا من الاهتمام بالمناطق الكردية في الدولة العثمانية والتي كانت تعاني من انتشار الفقر والأمية والأمراض والإهمال من قبل الدولة.

هذا وقد تعرض الأستاذ النورسي للكثير من الظلم والاضطهاد في حياته حيث سجن ونُفي وفرضت عليه الإقامة الإجبارية سنوات عديدة، وترك الأستاذ النورسي وراءه إرثا علميا كبيرا سميت برسائل النور وقد ترجمت إلى أكثر من خمسين لغة ومن ضمنها اللغة الكردية.

وفي الأيام الأخيرة من حياته مرض الأستاذ النورسي مرضاً فقرر الانتقال إلى مدينة (أورفة)، وفي يوم الأربعاء 1960/3/23م وقبيل صلاة الفجر توفي الأستاذ النورسي رحمه الله رحمة واسعة.

لقد استخدم الأستاذ سعيد النورسي في تعامله مع الآخرين العديد من الوسائل، ومن بينها وسيلة الرسائل، فمن خلال تصفح رسائل النور التي ألفها الأستاذ النورسي نقف على العشرات من الرسائل التي بعثها للآخرين، سواء كانوا من طلابه، أو زعماء العشائر الكرية، أو القادة والزعماء السياسيين [30]، والجدير بالذكر أن النورسي رحمه الله تعالى كان يمتلك أسلوبا مبهرا في كتابة الرسائل، وكان لها أبلغ الأثر في الشخص المتلقي للرسالة.

المبحث الثاني:

الشيخ معروف النودهي وفن المراسلة

المطلب الأول: نماذج من رسائل الشيخ معروف النودهي.

المطلب الثاني: فن المراسلة لدى الشيخ معروف النودهي.

المطلب الأول: نماذج من رسائل الشيخ معروف النودهي:

نظرا لضيق المجال في هذا البحث المختصر سوف أختار مقتطفات من أربع من رسائل الشيخ معروف النودهي، ومن ثم دراستها وتحليلها والتعليق على أهم مدلولاتها ومضامينها، وفيما يلي تلك الرسائل:

الرسالة الأولى:

رسالة إلى (والي بغداد):

"حضرة والي مدينة السلام بأن ينتظم له أمور دولته على حسن نظام...فسادة برزنجة لهم في مملكة بابان منذ قرون أكثر من خمسمائة عام قرى كثيرة متوطنين بها أرغد عيش وأهنأ حال، متمكنين من إقامة أمورهم على ما أمر به الشرع، ومنذ أن استولى شاه العجم وعساكر الأرفاض، وجنود الشيعة الشنيعة على هذه الممالك اختلت أمور الدنيا والدين، فلم يبق في القرى إقامة الجماعات والجمع، وكانت القرى كلها عامرة، واليوم أكثرها غامرة، وتعطلت مدارس البلدان عن التدريس، ولم يبق فيها من المحصلين إلا شرذمة قليلون، وكان بمدرستنا أكثر من سبعين طالبا، واليوم بها أقل من عشرة، وخُرّبت حجرات مدرستنا وحُجر أكثر المدارس، ومن ثم عزمنا مَعاشر سادة برزنجة عزمنا على الرحيل بأهلينا وجميع من يتعلق من الخدام والأحباء إلى مملكة أفندينا، وقد أعطانا في سابق الزمان داود باشا (بشير)، أو غيرها من القرى التي تناسب أحوالنا، وتكفينا لأمور معاشنا، ويعطينا بـ (كركوك) دارا واسعة نسكنها، ومدرسة ندرّس بها، ووظيفة للمدرسة، ووظيفة لنا تكفينا لقضاء حوائجنا...وإطعام ضيوفنا، وأكلة طعامنا، فندعو نحن وأولادنا بالليالي والأيام والدعاء لله، ختام.

الداعي الملهوف-محمد الشهير بمعروف"[31].

من خلال التأمل في مضمون هذه الرسالة التي أرسلها الشيخ معروف النودهي رحمه الله تعالى إلى علي رضا والي بغداد، يتبين لنا أنّه قد ركّز فيها على بعض الشكاوى من الوضع القائم في إمارة بابان، وتضمنت الرسالة بعض المطالب من الوالي، فبالنسبة للشكاوى أشار الشيخ النودهي إلى التخريب والإساءة من قبل القوات الإيرانية التي كانت تعبث بأمن الإمارة البابانية حيث شردوا الأهالي، وتم تعطيل إقامة الصوات الجماعية وصلاة الجمعة، كما عطّلوا العملية التعليمية في المدارس والحجرات المسجدية، مما حدا بالكثير من الناس إلى الهجرة إلى أماكن نائية بعيدا عن سلطة الشاه الإيراني وعساكره، هذا وقد وصفهم الشيخ النودهي بالأرفاض [يقصد الرافضة] والشيعة الشنيعة، يصف المؤرخ الكردي الشهير محمد أمين زكي الوضع في إمارة بابان بقوله: "إن توغل الجيوش الإيرانية فيها عدة مرات، وصيرورتها ساحة للحروب التي وقعت بينها وبين جيش (بغداد) أحلّ بها أضراراً عظيمة، وخسائر كبيرة في الأنفس والأموال"[32].

أما بالنسبة للمطاليب، فقد طلب الشيخ النودهي من الوالي السماح له ولحاشيته وأقربائه والمقربين منه بالانتقال إلى ضواحي منطقة كركوك وتحديدا (قرية بشير) التي كان قد منحها إياه الوالي داود باشا سابقا حسب ما ذكره الشيخ النودهي، بالإضافة إلى ذلك فقد طالب بتخصيص دار واسعة، ومدرسة، ووظيفة يكفي راتبها مصاريفه ومصاريف أهله وضيوفه.

والجدير بالذكر هو أن الوالي قد لبّى جميع طلباته "وخيره بين الإقامة في أربل، أو كركوك، أو بغداد، ويقول له في آخر الكتاب:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

إلاّ أنه لم يترك السليمانية، وهو أمر يدلّ على أنه كان حائرا ومترددا"[33].

من خلال التأمل في رسالة الشيخ النودهي هذه يمكن أن يوجه إليه انتقادان اثنان، أولهما: رؤيته لحلّ المشكلة التي واجهته في إمارة بابان والتي تحدث عنها في رسالته كانت تكمن في تركه للساحة وهروبه إلى مكان ناء، بينما كان جديرا به اتخاذ قرار البقاء في منطقته، ومواجهة تلك التحديات وإيجاد الحلول لتلك المعضلات، أما الانتقاد الثاني: فهو

أن أغلب مطالبه كانت مطالب مادية وشخصية، وهذا لا يليق بعالم كبير مثله، لاسيما إذا علمنا أنه كان شيخ الطريقة النقشبندية في المنطقة كلها، وكان له آلاف المريدين والأتباع والمحبين.

الرسالة الثانية:

رسالة إلى أحد الحكام[34]:

"يسلّم الداعي على المجلس السامي، جعل الله الدهر وفق مراده، وشياطين الإنس مقرنين في أصفاده، وأياديه أسرى في أيدي ميعاده، وأعاديه حسرى عن الصبر عن ايعاده، وآتاه في الآخرة والأولى ما لم يؤته أحدا من عباده، وينهى أن ما يبرزه في بياض رسائله من مخلص دعواته، قطرة يمّ ما يرهنه بأطايب أوقاته...

ولا منة للداعي على تلك الحضرة في دعواته التي يزفها إلى سرادقات القبول ليلاً ونهاراً، وكلمة الطيب الذي يرفعه إلى محل العرض سراً وجهراً، فلو أني صرفت له عمري في دعائي، واستفرغت له جميع ما في وعائي، لم أجد إلى جزاء مبادئ لطفه مجازا، فضلا عن نهايته التي هي أجلّ من أن تجازى، لكن حسبه أنّ بين الأُساة والعفُاة من لا يخيب ناوىَ سبيله أملا، ولا يضيع أجر من أحسن عملا...

ثم إن مثل ذلك الجناب وإن أحاط بأصول الدين وفروعه إلاّ أن سماعه للموعظة من غيره أعلق بروعه، فلابد للداعي أن يحييه عن غاية لطفه وإحسانه إليه ونهايته التي منّ بها عليه، ويجازيه بها بدعوات مخلصة ومواعظ مستخلصة، وإن لم تكن أحسن منها فأقول:

وفقك الله وأعانك ووقاك ما عانك عليك بالتقوى ما تقوى، وراع رعيتك التي أخضع الله لك رقابها، وفوض إليك ثوابها وعقابها، واعلم بأنك إن عاقبت مستحق الثواب، أو أثبت مستحق العقاب فلا يؤمن ساعة رحمته نقطة بالك عن هول سؤالك، عن ذلك، وإن قمت في أمرك بحقه، وأديت الحق إلى مستحقه، فلا يهولنّك شدة عقابه، بالخيبة من بابه، وازدد مما أنت عليه من تعمير الدارس من المدارس، الآفلة نجومها وأقمارها، الراحلة عنها سمّارها، وعمّارها، فإنها قلاع الدين النبوي، ومراجع الصراط السوي، واجتهد في مدّ يمينك، لجهاد أعداء دينك، والتدويم بجنودك، لتقويم حدودك إذ به غلبت راية هذا الدين، وارتفعت أصوات الموحدين، في أرض المشركين، والمتمردين، هذا حاصل مصالح الدين والدنيا لأمثالك، والأمر إليك في أخذ ذلك، والسلام"[35].

استهلّ الشيخ النودهي رسالته بما أجاد به قلمه من ألفاظ الثناء والتبجيل والمدح للباشا الذي أرسل إليه الرسالة، وكانت هذه عادة متبعة قديما وحديثا، حيث كانت الرسائل لا تخلو في مطلعها من ألفاظ المدح بأسلوب بلاغي مسجوع، واختيار للكلمات بدقّة ومهارة فائقة، وبعد تلك المقدمة يدخل الشيخ النودهي في موضوع الرسالة، وهو إسداء الموعظة للباشا، وبأسلوب أدبي رفيع حيث بين له أنّ الباشا وبالرغم من كونه قد أحاط بأصول الدين وفروعه، إلا أنه من طبع الإنسان أن يتأثر بكلام غيره بصورة أبلغ وأكثر، وكان هذا ديدن الكثير من العلماء والوعاظ حيث كانوا يطلبون النصيحة والعظة من غيرهم، وبعد تلك المقدمات يبدأ الشيخ النودهي بوعظه فيبدأ بتحذيره من عقاب الله إن قام بعقوبة من يستحق الثواب من رعيته، أو قام بإثابة من هو مستحق العقاب، لقد ذكر الشيخ النودهي هذه المسألة لأنه كثيرا ما تقع مثل هذه الأمور لذا حذّره منها، ثم أخبره بأنه إذا قام بالقسط بين الرعية وأثاب المحسن وعاقب المسيء فلا خوف عليه من شدّة عذاب الله عزّ وجلّ.

هذا ومن الأمور التي حثّ الشيخ النودهي ذلك الباشا عليها عمارة المدارس المتروكة، والاهتمام بها، والعمل على إعادة الحياة إليها من خلال إعمارها، وتخصيص المبالغ المالية لها لكي يتمكن العلماء وطلبة العلم من استئناف الدروس العلمية فيها، وبين له بأن تلك المدارس هي بمثابة القلاع للدين لذا وجب الاهتمام بها.

وفي ختام الرسالة حثّ وشجّع الشيخ النودهي الباشا على الاهتمام بتقوية الثغور وذلك لإهابة الأعداء والمتمردين، والوقوف بوجههم بكل حزم وجدّ، وبيّن له أنه إن فعل ما أخبره به الشيخ النودهي فإنه سيحقّق مصالح الدنيا والدين.

الرسالة الثالثة:

رسالة إلى داود باشا والي بغداد ووزرائه:

"ألا يا وزراء السلاطين، كونوا لمشيد قصر الدين أساطين، ولبستان الشريعة حياطين، ولا يكيدنكم أبالسة الإنس والشياطين، ولا تغتروا بالدنيا وزخارفها، ولا تركنوا إلى تالدها وطارفها، حافظوا على أعمال توجب لكم الفلاح، وكونوا على غاية من الحذر عن مقارفة الجُناح، واخفضوا جناح الذلّ للسادة العلماء وذوي الصلاح، وساعدوهم من أموال بيت المال، فقلما يتيسر الطاعة ونشر العلم إلا عن فراغ البال، وهو منوط بوجدان قوت العام للعيال، ورفاهية الحال، واكفلوا اليتامى كما تكفلون لكم أطفالا، وكونوا للأرامل وأولادهن ثمالا، وإذا رفع مظلوم إليكم شكاية الحال فألينوا معه الكلام، ولا تغلظوا له في المقال، فإلانة الكلام مرهم الكلام وإغلاظ المقال نبال على البال، أما الرعية فبالغوا في رعايتهم، واغتنموا السعي في حمايتهم، واتخذوهم إخوانكم، ولا تسلطوا عليهم أعوانكم، وخلوهم في أوطانهم ومدائنهم، ولا تزعجوهم عن أماكنهم، ولا تخرجوهم من مساكنهم، وابقوهم في أمصارهم، وإياكم وتخريب ديارهم، فالجلاء من الأوطان، جذّاب الأحزان، وجبّاذ الأشجان، وفي تخريب المساجد والمدارس أوزار تعجز العقول في إحصاء حسابها، **(مَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ)**[36].

بما أنّ الاغترار بالدنيا وزخارفها وملذاتها مضنة التأثير على الحكّام والوزراء فقد ركّز الشيخ النودهي على هذا الخطر الكبير على الدولة، وحذّرهم من مغبّة السير وراء تلك الملذات والإسراف فيها من خلال الاستماع لشياطين الإنس والجان كما يصفهم الشيخ، ونسيان الرعية، وإهمالهم، ثم بعد ذلك حثّهم الشيخ على الاهتمام بالعلماء والعمل على توفير كل ما يحتاجون إليه من قوت العيال وغيره، ولا تدعوهم ينشغلوا بتلك الأمور عن خدمة العلم، وبين لهم أنّ العالم لا يمكن أن يستمر في إلقاء الدروس على الطلبة إذا كان باله مشغولا بتدابير المعيشة اليومية.

وبعد ذلك وجّههم الشيخ للاهتمام باليتامى والأرامل الذين هم بحاجة ماسّة لمد يد العون، كما حثّهم على الاستماع لأصوات المظلومين، وهذه مسألة مهمة وقف عليها الشيخ النودهي رحمه الله، فكم من دول وحكومات انهارت بسبب عدم إنصاف المظلومين، وقد قال

شيخ الإسلام ابن تيمية: "فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي أَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيمَةٌ وَعَاقِبَةُ الْعَدْلِ كَرِيمَةٌ وَلِهَذَا يُرْوَى: اللَّهُ يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً وَلَا يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً"[37].

ومن نصائحه الأخرى في هذه الرسالة: الاهتمام بالرعية، هذا وقد نبههم الشيخ النودهي على ضرورة رعايتهم بل المبالغة في رعايتهم كما يقول رحمه الله، كما أرشدهم إلى التعامل الأخوي مع الرعية، فكما إن الأخ البارّ لا يؤذي إخوته، بل يسعى لخدمة إخوته ورعايتهم والدفاع عنهم، فكذلك الحومة الرشيدة تقوم بكل ذلك مع رعاياها، وفي الختام نهاهم عن طرد الناس من أماكن سكناهم لأن ذلك يضرّ بهم ويتسبب في إصابتهم بالحزن الشديد لأن مفارقة الأوطان مصيبة كبيرة لا يحس بها إلا من ذاقها، وأخيرا حذّرهم من التسبب في تخريب المساجد والمدارس لأن وزر ذلك العمل كبير جدا.

الرسالة الرابعة:

رسالة بعث بها إلى أحد أمراء بابان يدعوه لردّ مظلمة عن أحد المواطنين حيث أخذت منه عدّة دراهم عنوة، والجدير بالذكر هو أنّ المحفوظ من الرسالة هو الجزء الأخير منها حيث ورد فيها:

"وقد حلفت أن أخرج من (السليمانية) إن لم يرد عليه تلك الدراهم المأخوذة منه بتمامها وكمالها، وأريد أن تكتب لي الجواب ولو على ظهر هذا الكتاب"[38].

من خلال قراءة رسائل الشيخ معروف النودهي لفت نظري مسألة كثيرا ما يذكرها ويوليها اهتماما كبيرا ألا وهي الدفاع عن حقوق الفقراء والمظلومين، والعمل على ردّ حقوقهم، وتحذير الحكام وأعوانهم من مغبّة الاعتداء على الفقراء والمساكين، وهذا الذي فعله الشيخ النودهي هو واحد من مناقبه ومفاخره، فقد كان الشيخ النودهي ملاذ الفقراء والمظلومين، وكان النودهي يستخدم سلطته المعنوية كونه أحد أبرز علماء المنطقة، وشيخا للطريقة القادرية المنتشرة في المنطقة، كان يستخدمها للدفاع عن الفقراء والمظلومين، وما هذه الرسالة إلا واحدة من تلك الجهود التي قام بها النودهي رحمه الله.

من مضمون الرسالة يتبين لنا أن المبلغ الذي أخذ من ذلك الرجل كان مبلغا زهيدا _دراهم_ كما ذكره النودهي، ولكنه رحمه الله لم ينظر لقيمة المبلغ المأخوذ منه، فالحق حقّ ولو كان يسرا، وهذا المبلغ القليل في نظر الآخرين هو مبلغ كبير لشخص فقير، والشيخ النودهي لم يلتفت إلى كمية المال المأخوذ بل التفت إلى نوعية الجريمة.

لقد استخدم الشيخ النودهي أسلوب التهديد مع ذلك الأمير البابانى، حيث هدده بالخروج من (السليمانية) إن لم يُردّ إلى ذلك الفقير دراهمه التي أخذت منه، ولا يخفى ما لهذا التهديد الخطير من تأثير على الخواص والعوام، فخروج الشيخ النودهي من بلده ليس بالأمر الهين، ولا شك أنه سيترتب على ذلك الكثير من التبعات التي لا تحمد عقباها، ولم يكتف الشيخ النودهي بالتهديد وترك الأمر للأمير، بل ضمّن رسالته بيان سقف زمني لتنفيذ أمره، حتى ولو أعيد إليه الجواب على ظهر رسالته التي بعثها إليه.

المطلب الثاني: فن المراسلة لدى الشيخ معروف النودهي:

لقد كان الشيخ معروف النودهي رحمه الله يمتلك علما واسعا، وثقافة واسعة، وذو باع طويل في مختلف العلوم والفنون التي كانت منتشرة في زمانه، وخير دليل على ما نقول هو مؤلفاته التي شملت أغلب تلك العلوم والفنون، فقد ألف في الفقه، وأصول الفقه، وعلم الكلام، والعقيدة، والفرق، وعلم الحديث، والنحو والصرف، وعلم العروض والبلاغة، وآداب البحث، وغيرها من العلوم والفنون.

بالإضافة إلى مئات الأبيات الشعرية في العديد من أغراض الشعر، لقد كان النودهي رحمه الله يصرف جلّ أوقاته لخدمة العلم بالتدريس والتأليف "مكرسا جهوده للتدريس والتأليف ونظم المتون المشهورة، فكانت أوقاته كلها مصروفة في خدمة العلم، والأدب، وتأليف الكتب ولم يثنه عن أداء رسالته ما كان يقاسيه من شظف العيش، واضطراب البال وتبلبل الأحوال"[39].

هذا وقد كان للنودهي رحمة الله تعالى معرفة تامة باللغتين والعربية والفارسية إلى جانب لغته الكردية مما ساعده على سعة أفقه العلمي والفكري، وبالتالي أدى ذلك كله إلى غزارة نتاجاته العلمية، والعدد الكبير للمؤلفات المتنوعة.

بالنسبة لكميّة الرسائل لدى الشيخ معروف النودهي يمكننا القول أنّه لم يكن ممن يكثر من إرسال الرسائل وذلك مقارنة مع غيره من العلماء سواء علماء عصره أو الذين قبله وبعده، ويعود ذلك إلى أسباب عدّة منها انشغاله بالتأليف والتدريس، ومن خلال دراسة سيرته يتبين لنا أنه كان يصرف وقته كله إلا قليلا بالعلم والتأليف والتدريس، لذا فإنه لم يكن لديه الوقت الكافي لكتابة الرسائل، أو أنه كان يفضل أن يصرف وقته بالعلم بدلا من إرسال الرسائل، وهناك سبب آخر وهو أنّه رحمه الله كان يقضي أغلب أوقاته بعيدا عن الناس والأحداث الجارية، وكان قليل الاختلاط بالناس لانشغاله بالتأليف والتدريس، لذا فإن الرسائل التي بعث بها إلى الأمراء والشخصيات والعلماء قليلة جدا لا تتعدى العشرين رسالة حسب ما اطلعت عليه، وأخبرني به المطلعون على تراث الشيخ النودهي رحمه الله تعالى، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أنه يمكن أن يكون للشيخ النودهي رسائل أخرى _وهو ما أميل إليه_ إلاّ أنها قد تعرضت للضياع مع ما ضاعت من كتبه التي ذكرها الدارسون والباحثون، حيث ذكروا عدة عناوين لمؤلفاته التي ذكرها في بعض تصانيفه، وذكرت أسماء بعضها في مصادر أخرى، فأغلب الظن أن هناك بعضا من رسائله التي ضاعت هي الأخرى.

ومن خلال التأمل في رسائل النودهي رحمه الله يتبين لنا جملة من الأمور والتي منها:

لغة الرسائل كانت هي اللغة العربية، وربما يعود السبب إلى أنها كانت هي اللغة المستخدمة في تلك الفترة، وخاصة لغة التخاطب في الرسائل وغيرها، ومما يؤيد ذلك وجود رسائل أخرى كثيرة لعلماء آخرين مما عاصروا الشيخ معروف النودهي. وهي الأخرى قد كتبت باللغة العربية، مثل مكتوبات مولانا خالد النقشبندي، والملا يحيى المزوري وغيرهما.

من خلال قراءة رسائل الشيخ النودهي يتبين لنا كم كان رحمه الله يعتني باختيار الكلمات والألفاظ بعناية تامة، كما أنّه عني فيها "بالمحسنات اللفظية، من غير إسراف في استخدامها، والتزام السجع كمعظم كتاب عصره، كما يبدو في نثره تأثره بالأساليب القرآنية"[40].

لقد دون الشيخ معروف النودهي خلال رسائله القليلة بعضا من الأحداث المهمة التي وقعت في تلك الفترة، مثل: الأعمال التخريبية التي قام بها شاه العجم والشيعة في إمارة بابان، وتعطيلهم للعملية التعليمية في المدارس، كما أشار إلى بعض المظالم التي كانت تحدث في الإمارة البابانية، كما أشار فيها إلى بعض المسائل المتعلقة بالحياة الاجتماعية والتعليمية في تلك الفترة.

رغم ما ذهب إليه البعض من الكتاب والباحثين من أنّ الشيخ النودهي كان قريبا من الأمراء وأرباب السلطة إلا أنّ رسائله تثبت عكس ذلك تماما[41]، ومن الأدلة على ذلك فقره المادي، وشظف العيش الذي كان يعيشه هو أهله، وهو ما صرح به في بعض رسائله، لذا فلو كان النودهي قريبا من السلطة الحاكمة لأغدقوه بالأموال، والدليل على ذلك ما ورد في حاشية لرسالة كان قد بعث بها إلى (الملا صبغة الله) جاء فيها: "...يا أخانا لنا ثلاثة بساتين بيني وبين أخي مناصفة نتخذ إحداها دبسا وزبيبا، ونبيع الآخرين بثمن نتقاسمه لا تكفي حصة كل منه مؤونة أهله، وإن لنا من الأملاك ما يكفي النفقة والكسوة ما تعرضنا أبدا لجوائز الملوك وعطاياهم..."[42].

إن رسائل الشيخ معروف التي بين أيدينا بعضها كان قد أرسلها إلى والي بغداد، والبعض الآخر إلى الأمراء البابانيين، وأخرى كان قد أرسلها لبعض العلماء، بالإضافة إلى عدة رسائل كان قد أرسلها لولده (أحمد) الذي يبدو أنه كان يعيش في بعض القرى النائية.

بالنسبة للرسائل التي كان قد بعث بها لبعض العلماء المعاصرين له فإنه قد طلب منهم القيام بشرح بعض كتبه والتعليق عليها، وكانت هذه عادة متّبعة بين العلماء، حيث كان هو الآخر قد نظّم بعض مؤلفات أقرانه من العلماء[43]، ومن العلماء الذين أرسل النودهي لهم رسائل بهذا الخصوص: العلامة ابن آدم البالكي، والسيد صالح بن يحيى الموصلي، وأبي الثناء الآلوسي وغيرهم[44].

أما الرسائل التي بعث بها لنجله (أحمد) فإنها لا تعدو كونها رسائل اجتماعية يظهر فيها اشتياقه لولده البكر الذي لم يره منذ فترة طويلة، ويطلب منه أن يقدم إليه.

الخاتمة

أولا نتائج البحث

ثانيا: التوصيات

أولاً: نتائج البحث:

في الختام أودّ أن أشير إلى إن البحث قد توصّل إلى عدد من النتائج ومن أهمها ما يأتي:

1- لقد استخدم علماء الكرد رحمهم الله تعالى الكثير من الوسائل والآليات للاتصال بالآخرين، وتبادل الآراء والأفكار والمعلومات العلمية، ويعدّ أسلوب الرسائل واحدا من تلك الوسائل المهمة.
2- توجد في المكتبة الكردية العديد من نماذج تلك الرسائل التي بعثها أو تلقّاها علماء الكرد، ولا شك أن العديد من تلك الرسائل قد ضاعت، أو أحرقت خلال الأحداث المتفرقة التي وقعت في المنطقة.
3- تعتبر رسائل علماء الكرد واحدا من أهمّ المصادر التي يمكن الاستفادة منها في الدراسات التاريخية، والفكرية، والثقافية وغيرها من المجالات.
4- الشيخ معروف النودهي هو واحد من العلماء الكرد الذين استخدموا وسيلة إرسال الرسائل للتواصل مع الآخرين، ومعالجة بعض الأمور معهم، أو نصحهم وإرشادهم.
5- لم يكن الشيخ معروف النودهي من المكثرين من كتابة الرسائل، ورغم قلّة رسائله إلاّ إن رسائله المحفوظة والتي وصلت إلينا لا تتعدى بضع عشرة رسالة.
6- إن مضمون رسائل الشيخ النودهي تثبت أنه لم يكن ينعم كثيرا بملذات الحياة، وأنه عاش حياة مليئة بالمكابدة والفقر.

ثانيا: التوصيات:

وفيما يلي أهم التوصيات:

1- يوصي البحث قيام الباحثين الكرد وغيرهم من الباحثين بالاهتمام بتراث علماء الكرد، حيث إنهم يمتلكون تراثا علميا غنيا جدا وهو بحاجة إلى المزيد من الدراسة والبحث والتقصي لكشف جوانبه النيرة والمشرقة للإنسانية جمعاء.
2- كما يوصي البحث بقيام ذوي الخبرة في مجال المخطوطات العلمية القيام بالبحث عن المخطوطات العلمية القيمة التي خطها يراع علماء الكرد، تلك المخطوطات التي شملت مخلف العلوم والمعارف الإنسانية.
3- يوصي البحث قيام الباحثين بإجراء المزيد من الدراسات العلمية حول الشيخ معروف النودهي رحمه الله تعالى، فالشيخ النودهي يمتلك ثروة علمية زاخرة وهي بحاجة إلى التحقيق والشرح والتحليل العلمي.

قائمة المصادر:

1- أباظة، نزار، الشيخ خالد النقشبندي العالم المجدد حياته وأهم مؤلفاته، ط1، دار الفكر، دمشق، 1998.
2- أحمد، محمد زكي حسين، إسهام علماء كوردستان في الثقافة الإسلاميّة، ط1، دار ئاراس للطباعة والنشر، إقليم كوردستان العراق.
3- بطرس، دراسات حول مولانا خالد والخالدية، ط1، مطبعة آراس، سنة2009م.
4- بك، محمد أمين زكي، تاريخ السليمانية، نقله إلى العربية: الملا جميل الملا أحمد الروزبياني، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، 1951م.
5- بيوض، د. حسين، الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، د. ط، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق 1996م.
6- جلبي، أوليا، رحلة أوليا جلبي في كوردستان عام 1065هـ - 1655م، ترجمة: رشيد فندي، ط1، مطبعة خاني، إقليم كردستان العراق.
7- حمد أمين، خالد عثمان، الشيخ معروف النودهي وآراؤه الكلامية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى: كلية دار العلوم-جامعة القاهرة، سنة2014.
8- الخال، محمد، الشيخ معروف النودهي البرزنجي، مطبعة التمدن، بغداد-العراق، د.ت.
9- الخاني، عبد المجيد، الحدائق الورديّة في حقائق أجلاء النقشبنديّة، ط2، دار آراس، إقليم كردستان العراق - أربيل، 2002م.
10- الزباخ، مصطفى، فنون النثر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين، الدار العلمية للكتاب الدار البيضاء، الدار العلمية للطباعة والنشر بيروت، د ط ، د ت.
11- السلفي، حمدي عبد المجيد وتحسين إبراهيم الدوسكي، عقد الجمان في تراجم العلماء والأدباء الكرد المنسوبين إلى مدن وقرى كردستان، ط1، مكتبة الأصالة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 1429هـ - 2008م.
12- الصويركي، محمد علي، معجم أعلام الكرد، مطبعة مؤسسة حمدي للطبع والنشر، السليمانية – العراق.
13- فتاح، ئيبراهيم، نامة عةرةبييةكانى مةولانا خالِيدى نةقشبةندى، ضاثى يةكةم، ضاثخانةى ئاراس، هةوليَر.
14- القرداغي، محمد علي، الرسائل المغنية لكل محتاج، ، ط1، دار آراس، إقليم كردستان - العراق.
15- القرداغي، محمد علي، ورود الكرد في حديقة الورود، ط1، دار آراس، إقليم كردستان - العراق، 2002.
16- القيسي، فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ، دار البشير، الطبعة الأولى 1409 - 1989.
17- كريم، حسين حسن، إجازات مولانا خالد النقشبندي العلمية والتصوفية، ط1، مطبعة آراس، أربيل، العراق.
18- المدرس، عبد الكريم، يادى مه ردان (تذكار الرجال)، من منشورات المجمع العلمي الكردي، بغداد، 1979.
19- محمد، سمير رجب، الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي، ط2، القاهرة، شركة سوزلر للنشر فرع القاهرة، 1416هـ _ 1995م.
20- محمد صالح، د.آراس، بةهاى ميذوويى نامة دةستنوسةكانى شيخ مارفى نودى، المجلة العلمية لجامعة جيهان، المجلد(6)، العدد (3)، حزيران، 2022.
21- محمد علي، أورخان، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، ط1، تركيا _ إستانبول، شركة النسيل للطباعة، 1416هـ_ 1995م.
22- محمد، كمال رؤوف، عقيدة الإيمان - العقيدة الكردية، جمع وتلخيص خالد الشهرزوري النقشبندي، ط1، دار آراس، إقليم كردستان العراق - أربيل، 2004.
23- محمد، كمال رؤوف، باقة دراسات كردية، ط1، دار آراس، أربيل-إقليم كردستان، 2006.
24- مصطفى، محمد صابر، النودهي وجهوده النحوية، ط1 مطبعة جامعة صلاح الدين، أربيل، سنة2004م.

25- النقشبندی، مەولانا خالد، مەکتوبات، دکتور سەباح بەرزنجی وەریگێڕاوە و پەراوێزی بۆ داناوە، چاپی یەکەم، چاپخانەی ئاراس، ساڵی2009.
26- النودهي، الشيخ محمد بن السيد مصطفى البرزنجي، تحقيق: أوميد عمر سعدون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2018م.
27- النورسي، بديع الزمان سعيد، سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط1، إستانبول، دار سوزلر للنشر، 1419هـ_ 1998م.
28- النورسي، بديع الزمان سعيد، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط1، تركيا_استانبول، دار سوزلر للنشر، 1415هـ_1995م.

---

(1) محمد علي القرداغي، ورود الكرد في حديقة الورود، ط1، دار آراس، إقليم كردستان ـ العراق، 2002، ص5.

(2) أوليا جلبي بن درويش محمد أغا ظلي المعروف بلقبه أوليا چلبي (ولد في 10 محرم 1020 هـ، الموافق 25 مارس 1611م، في إسطنبول، وتوفي في عام 1095 هـ / 1684م.) هو رحّالة ومستكشفٌ عثماني سافر عبر أراضي الإمبراطورية العثمانية والأراضي المجاورة على مدار أربعين عامًا ابتدأها عام 1040 هـ - 1630م من إسطنبول، حيث دوّن مشاهداته في رحلاته في كتابه المعروف سياحت نامه أي («كتاب الرحلات») المكون من عشرة أجزاء. وقد قام برحلاته مستقلاً أحيانا، أو في مهمات رسمية أحيانا أخرى. أما اسم جلبي (ويُنطق: تشلبي) فهو لقب شرف باللغة التركية العثمانية يعني رجل نبيل (كان يستخدم في تركيا قبل عام 1934). عده الاتحاد الأوروبي ضمن عشرين شخصية خدمت الثقافة الإنسانية. نقلاً عن: موقع: wikipedea.org تاريخ الزيارة: 2023/11/30.

(3) يقصد الأوروبيين.

(4) رحلة أوليا جلبي في كوردستان عام 1065هـ ـ 1655م، ترجمة: رشيد فندي، ط1، مطبعة خاني، إقليم كردستان العراق، ص317.

(5) د. حسين بيوض، الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، د. ط، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق 1996م ص: 5.

(6) الزباخ، مصطفى، فنون النثر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين، الدار العلمية للكتاب الدار البيضاء، الدار العلمية للطباعة والنشر بيروت، د ط ، د ت، ص 158.

(7) الجوزية، ابن القيم، إعلام الموقعين، ج ٣، ص ٨٨.

(8) الزباخ، مصطفى، فنون النثر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين، ص158.

(9) القيسي، فائزعبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير، الطبعة الأولى 1409 ـ 1989، ص 87.

(10) ينظر: قره، ميرنا عيد، من أنواع الرسائل الشخصية، موقع محتويات، mhtwyat.com، تاريخ الزيارة، 2023/11/28.

(11) ينظر: كمال رؤوف محمد، ئەدەبی نامە نوسی كوردی، دار آراس، إقليم كردستان العراق ـ أربيل، 2004م، ص49.

(12) مصطفى، محمد صابر، النودهي وجهوده النحوية، ط1 مطبعة جامعة صلاح الدين، أربيل، سنة2004م، ص23.

(13) ينظر: أحمد، محمد زكي حسين، إسهام علماء كوردستان في الثقافة الإسلاميّة، ص100 وما بعدها.

(14) ينظر: بك، محمد أمين زكي، تاريخ السليمانية، نقله إلى العربية: الملا جميل الملا أحمد الروزبياني، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، 1951م، ص223.

(15) الخاني، عبد المجيد، الحدائق الورديّة في حقائق أجلاء النقشبنديّة، ط2، دار آراس، إقليم كردستان العراق ـ أربيل، 2002، ص303.

(16) ينظر: ئیبراهیم فەتاح، نامە عەرەبییەکانی مەولانا خالیدی نەقشبەندی، چاپی یەکەم، چاپخانەی ئاراس، هەولێر، لاپەرە 19.

(17) ينظر: الصويركي، محمد علي، معجم أعلام الكرد، ص246.

(18) ينظر: المدرس، عبد الكريم، يادى مه ردان (تذكار الرجال)، من منشورات المجمع العلمي الكردي، بغداد، 1979، ص23 وما بعدها. و عقيدة الإيمان ـ العقيدة الكردية، جمع وتلخيص خالد الشهرزوري النقشبندي، تعريف وبحث كمال رؤوف محمد، ط1، دار آراس، إقليم كردستان العراق ـ أربيل، 2004، ص75 وما بعدها.وأباظة، نزار، الشيخ خالد النقشبندي العالم المجدد حياته وأهم مؤلفاته، ط1، دار الفكر، دمشق، 1998، ص9. والخال، محمد، الشيخ معروف النودهي البرزنجي، دار مطبعة التمدن، بغداد، ص38 وما بعدها. وكذلك الخاني، عبد المجيد، الحدائق الورديّة في حقائق أجلاء النقشبنديّة، ط2، دار آراس، إقليم كردستان العراق ـ أربيل، 2002، ص303.

(19) ينظر: مەولانا خالد، مەکتوبات، دکتور سەباح بەرزنجی وەریگێڕاوە و پەراوێزی بۆ داناوە، چاپی یەکەم، چاپخانەی ئاراس، ساڵی 2009، لاپەڕە 13.

(20) ينظر: كريم، حسين حسن، إجازات مولانا خالد النقشبندي العلمية والتصوفية، ص67.

(21) بطرس أبو منه، دراسات حول مولانا خالد والخالدية، ص13.

(22) ينظر: الخاني، عبد المجيد، الحدائق الورديّة في حقائق أجلاء النقشبنديّة، ص330.

(23) خلال عملية البحث والتقصي لم أقف على أية رسالة لمولانا خالد باللغة الكردية، ويبدو أنّ لغة التخاطب في تلك الفترة كانت مقتصرة على اللغتين العربية والفارسية، وإلاّ فإن مولانا خالد له بعض الكتابات والأشعار باللغة الكردية.

(24) السلفي، حمدي عبد المجيد وتحسين إبراهيم الدوسكي، عقد الجمان في تراجم العلماء والأدباء الكرد المنسوبين إلى مدن وقرى كردستان، ط1، مكتبة الأصالة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 1429هـ - 2008م، ص1050.

(25) عبد الكريم المدرس، علماءنا في العلم والدين، ص622.

(26) الملا يحيى المزوري، الرسائل المغنية لكل محتاج، ص16,

(27) لقرداغي، محمد علي، الرسائل المغنية لكل محتاج، ، ط1، دار آراس، إقليم كردستان ـ العراق، 2009.

(28) ينظر: محمد، سمير رجب، الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي، ط2، القاهرة، شركة سوزلر للنشر فرع القاهرة، 1416هـ _ 1995م، ص 32.

(29) أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، ط1، تركيا _ إستانبول، شركة النسيل للطباعة، 1416هـ_ 1995م، ص25، وكذلك: ديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص63.

(30) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص304ومابعدها.

(31) نقلا عن: محمد، كمال رؤوف، باقة دراسات كردية، ص205.

(32) بك، محمد أمين زكي، تاريخ السليمانية، ص131.

(33) الخال، محمد، الشيخ معروف النودهي البرزنجي، ص60.

(34) لم يذكر اسم الشخص الذي أُرست الرسالة إليه ولكن يبدو أنه داود باشا الذي أصبح فيما بعد واليا على بغداد، وذلك حسب ما يقوله: كمال رؤوف محمد في كتابه: باقة دراسات كردية، ص207.

(35) نقلا عن: الخال، محمد، الشيخ معروف النودهي البرزنجي، ص192.

(36) نقلا عن: الخال، محمد، الشيخ معروف النودهي البرزنجي، ص194.

(37) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (ج28/ص63).

(38) نقلا عن: الخال، محمد، الشيخ معروف النودهي البرزنجي، ص31.

(39) الخال، محمد، الشيخ معروف النودهي البرزنجي، مطبعة التمدن، بغداد-العراق، د.ت، ص90.

(40) مصطفى، محمد صابر، النودهي وجهوده النحوية ، ص58.

(41) ينظر: محمد صالح، د.آراس، بەهای میژوویی نامە دەستنوسەکانی شیخ مارفی نودی، المجله العلميه لجامعه جيهان ، المجلد(6)، العدد (3)، حزيران، 2022.

(42) محمد، كمال رؤوف، باقة دراسات كردية، ط1، دار آراس، أربيل-إقليم كردستان، 2006، ص202.

(43) مصطفى، محمد صابر، النودهي وجهوده النحوية، ص46.

(44) ينظر: حمد أمين، خالد عثمان، الشيخ معروف النودهي وآراؤه الكلامية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى: كلية دار العلوم-جامعة القاهرة، سنة2014، ص57.

پوختە:
مللەتی کورد دوسیەکا زانستی یا دەولەمەند یا هەی سهدان ناڤین زانا و ناڤداریین کورد ب خوڤە دگریت، و دهەمی بواریین زانستی وئەدەبیات و هزرو لایەنین دی یین زانستی، هونەری(نامە نڤیسینی) ئیکە ژ وان هونەرین زانایین کورد بکار ئینایین.

هونەری (نامە نڤیسینی) تیتە دانان وەك ژیدەرەکی گرنگ کو مفا ژی تیتە وەرگرتن بو تیگەهشتنا گەلەك ریدانیت میژویی ژبەر کو ئەو هونەر تیتە ئەنجام دان د نافبەرا ئیك ژ بلندترین تەخییین کومەلگەهی کو ئەوژی چینی زانایانە، و لگور ژیدەرین تایبەت ب زانایین کورد هژمارەکا مەزن یا نامەیین زانایین کورد تینە دیتن یین کو هاتینە ئالوگور کرن دنافبەرا زانایین کورد دا، و دنافبەرا وان هندەك میر و کەسایەتیین سیاسی و جڤاکی گەلەکین دیتر دا.

دەمی ئەم دیفچونی ژ بو بەرهەمیین زانستی یین (شیخ مارفی نودی) دکەین چاڤیین مە ب هژمارەکا نامەیین وی دکەڤیت یین کو وی بو لایەنین جودا جودا هنارتین، وئەز د وی باوەریدامە کو (شیخ مارفی نودی) هژمارەکا مازنتر یا نامان هەبویە لی ژ وی هژماری هندەك نامەیین کیم بدەست مە کەفتینە، و نامەیین دی بیت هاتینە وندا کرن و نەهاتینە پاراستن ژ لایی شاگردین وی و کەس وکارین ویڤە، ئەڤەو و ڤەکولین شیا هندەك ژ وان نامان بدەست خوڤە بینیت کو هندەك ژ وان گەلەك د گرنگن، و ب ریکا وان ڤەکولەر دشین گەلەك پیزانینین گرنگ بدەست خوڤە بینیتی ین گریدای ب هەلویست و بیر و بوچونیت (شیخ مارفی نودی) دەربارەی هندەك ژ دوز و ریدانیت گریدای ب دەم و جهی (شیخ مارف) تیدا د ژییا.

Abstract:

The Kurds have a rich scientific record that includes hundreds of names of prominent Kurdish scientists in various scientific, literary, and intellectual fields. Kurdish scientists have excelled in all scientific fields, and (the art of correspondence) is considered one of the arts used by Kurdish scholars. Correspondence between scientists is an important source for understanding many historical events, as it revolves within the layer of the highest social classes, the layer of scholars. Such letters are of great importance as they constitute a historical record of the events of the era in which they were written. By tracing the scientific effects and productions of Kurdish scholars, one can access a large number of such correspondences conducted among the scholars themselves and between .them and other parties, including princes, social and political figures, and others
Through a quick examination of the scientific impacts of Sheikh Ma'ruf al-Nudhi and what has been written about him by researchers, I have come across a number of his letters that he sent to various parties. Most likely, Sheikh al-Nudhi has a large number of letters, but only a few of them have been found. It seems that most of his letters have been lost and have not been preserved by his disciples and relatives. However, some of them have been discovered, and they are of utmost importance. Through these letters, one can arrive at a considerable number of conclusions related to the positions and opinions of Sheikh al-Nudhi regarding various issues and events related to the time and .place in which al-Nudhi lived